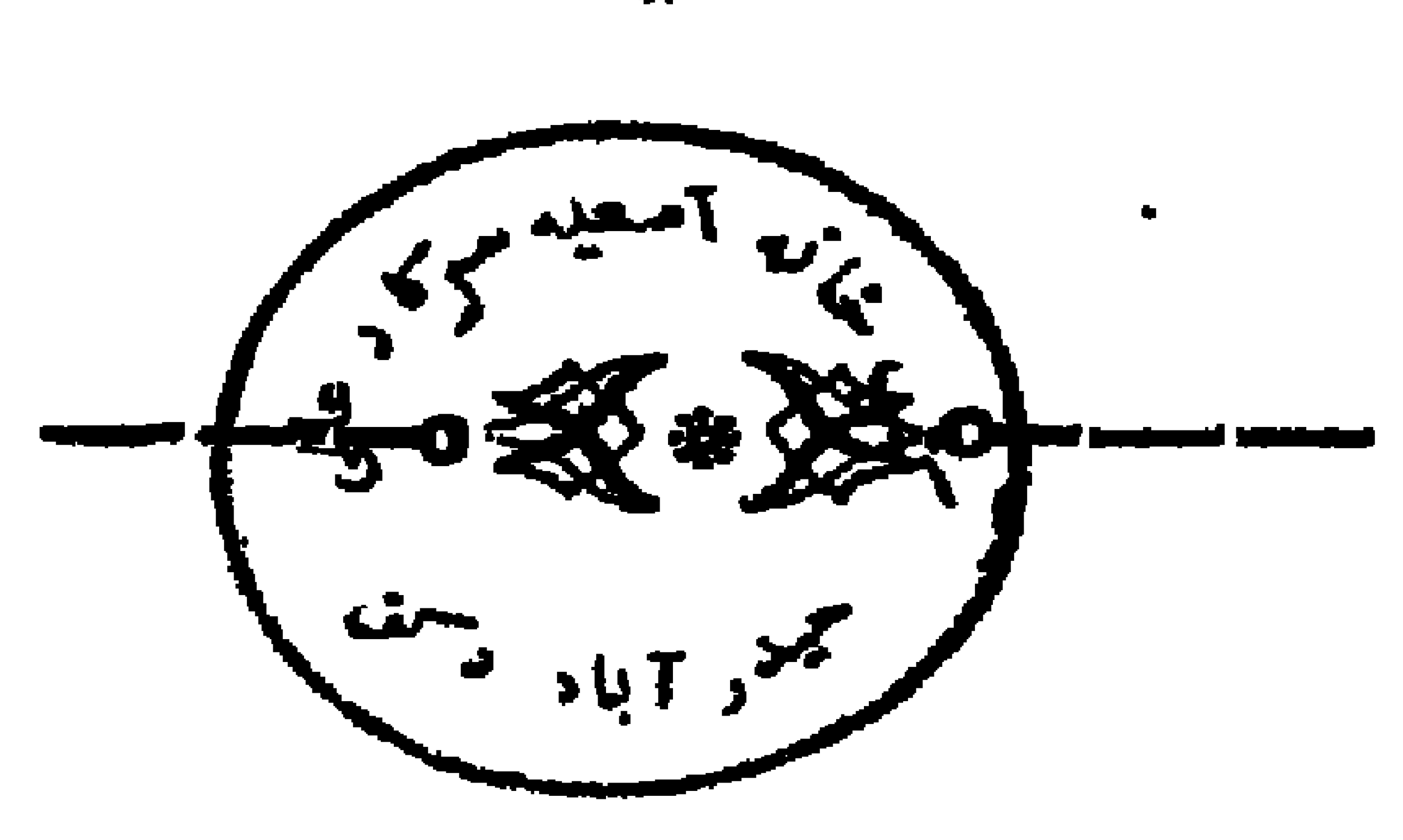
كتاب الجلال والجمال

من كلام الشيخ الامام العالم العامل المحقق الكامل
الوارث محي الدين ابى عبدالله محمد بن على بن محمد
ابن العربى الحاتمى الطائى قدس الله
روحه العزيز ونفع به المسلمين
آمين آمين
آمين



الطبعة الاولى

بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية
حيدرآباد الدكن لازالت شموس افاداتها بازغة
وبدور افاضاتها طالعة الى آخر الزمن
سنة ١٣٦١ من الهجرة
النبوية عليه الف
سلام وتحية

كتاب الجلال والجمال

بسم الله الرحمن الرحيم

به الحول والقوة

الحمد لله العظيم جلاله لظهور جماله، القريب فى دنوه، الرقيب فى سموه، ذى العزة والسناء والعظمة والكبرياء الذى جلت ذاته ان تشبه الذوات وتعالت عن الحركات والسكنات والحيرة والالتفات وعن درك الاشارات والعبارات كما جلت عن التكييف والحدود وعن النزول بالحركة والصعود وعن الاستواء المماس للمستوى عليه والقعود وعن الهرولة لطلب المقصود وعن التبشبش المعهود للقاء المفقود اذا صح منه المقصود كما جلت ان تفصل او تحمل او يقوم بها ملل او تتغير باختلاف الملل او تلتذ او تتألم بالعمل او توصف بغير الازل كما جلت عن التحيز والانقسام او يجوز عليها ما تتصف به الاجسام او تحيط بكنه حقيقتها الافهام او تكون كما تكيفها الاوهام او تدرك على ما هى عليه من اليقظة او المنام او تتقيد بالاماكن والايام او يكون استمرار وجودها بمرور الشهور عليها والاعوام او يكون لها الفوق او التحت او اليمين او الشمال او الخلف او الأمام او تضبط جلالها النهى او الاحلام كما جلت ان تدركها العقول بافكارها او ارباب المكاشفات باذكارها او حقائق العارفين باسرارها والوجوه بابصارها على مايعطيه جلال مقدارها لانها جلت عن القصر خلف حجبها واستارها، فهى لا تدرك فى غير انوارها كما جلت ان تكون على صورة الانسان او تفقد من وجود الاعيان او يرجع اليها حالة

لم يكن

لم يكن(١)عليها من خلقها الاكوان او تكون فى تقييد ظرفية السوداء الخرساء وان ثبت لها بها الايمان او تتحيز بكونها تجلى فى العيان او ينطلق عليها الماضى او المستقبل او الآن كما جلت ان تقوم بها الحواس اويقوم بها الشك والالتباس او تدرك بالمثال او القياس او تتنوع كالاجناس اويوجد للعالم طلبا للايناس اويكون ثالث ثلاثة للجلاس كما جلت عن الصاحبة والولد ويكون لها كفؤا احدا ويسبق وجودها عدم او توصف بجارحة اليد والذراع والقدم اويكون معها غيرها فى القدم كما جلت عن الضحك والفرح المعهودين بتوبة العباد وعن الغضب والتعجب المعتاد وعن التحول فى الصور كما يكون فى البشر فسبحانه من عزيز فى كبريائه وعظيم فى بهائه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

اما بعد فان الجلال والجمال مما اعتنى بهما المحققون العالمون بالله من اهل التصوف وكل واحد منها(٢) نطق فيهما بما يرجع الى حاله وان اكثرهم جعلوا الانس بالجمال مربوطا والهيبة بالجلال مربوطة وليس الامر كما قالوه وهو ايضا كما قالوه بوجه ما وذلك ان الجلال والجمال وصفان لله تعالى والهيبة والانس وصفان للانسان فاذا شاهدت حقائق العارفين الجلال هابت وانقبضت واذا شاهدت الجمال انست وانبسطت فجعلوا الجلال للقهر والجمال للرحمة وحكموا فى ذلك بما وجدوه فى انفسهم واريد إن شاءالله ان ابين عن هاتين الحقيقتين على قدر ما يسا عدنى الله به فى العبارة .

فاقول اولا ان الجلال لله معنى يرجع منه اليه وهو منعنا من المعرفة به تعالى والجمال معنى يرجع منه الينا وهو الذى اعطانا هذه المعرفة التى عندنا به والتنزلات والمشاهدات والاحوال وله فينا امران الهيبة والانس وذلك لان لهذا الجمال علوا ودنوا فالعلو نسميه جلال الجمال وفيه يتكلم العارفون وهو الذى يتجلى لهم ويتخيلون انهم يتكلمون فى الجلال الاول الذى ذكرناه وهذا جلال الجمال قد اقترن معه منا الانس والجمال الذى هو الدنو قد اقترنت معه منا الهيبة فاذا تجلى لنا جلال الجمال انسنا ولولا ذلك لهلكنا فان الجلال والهيبة لايبقى

(١) كذا (٢) كذا والظاهر « منهم»

لسلطانهما شيء فيقابل ذلك الجلال منه بالانس منا لنكون في المشاهدة على الاعتدال حتى نعقل ما نرى ولانذهل واذا تجلى لنا الجمال هنا فان الجمال مباسطة الحق لنا والجلال عزته عنا فنقابل بسطه معنا في جماله بالهيبة فان البسط مع البسط يؤدي الى سوء الادب وسوء الادب في الحضرة سبب الطرد والبعد ولهذا قال من المحققين ممن عرف هذا المعنى اقعد على هذا البساط واياك والانبساط فان جلاله في انفسنا يمنعنا في الحضرة من سوء الادب كما ان هيبتنا في جماله وبسطه معنا يمنعنا من سوء الادب فكشف اصحابنا صحيح وحكمهم بان الجلال يقبضهم وان الجمال يبسطهم غلط واذا كان الكشف صحيحا فلانبالي فهذا هو الجلال والجمال كما تعطيه الحقائق .

واعلم ان القرآن يحوى على جلال الجمال وعلى الجمال فاما الجلال المطلق فليس لمخلوق في معرفته مدخل ولاشهود انفرد الحق به وهو الحضرة التي يرى فيها الحق سبحانه نفسه بما هو عليه فلو كان لنا فيه مدخل لأحطنا علما بالله وبما عنده وهذا محال .

واعلم يا اخي ان الله تعالى لما كانت له الحقيقتان ووصف نفسه باليدين وعرفنا بالقبضتين خرج على هذا الحد الوجود فما في الوجود شيء الا وفيه ما يقابله وغرضنا من هذه المقابلة ما يرجع الى الجلال والجمال خاصة واعني بالجلال جلال الجمال كما ذكرنا فليس في الحديث المأثور عن المخبرين عن الله تعالى شيء يدل على الجلال الا وفيه ما يقابله من الجمال وكذلك في الكتب المنزلة وفي كل شيء كما انه ما من آية في القرآن تتضمن رحمة الا ولها اخت تقابلها تتضمن نقمة كقوله تعالى (غافر الذنب وقابل التوب) يقابله (شديد العقاب) وقوله (نبئ عبادي انى انا الغفور الرحيم) يقابله (وان عذابي هو العذاب العليم) وقوله (اصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود) الآيات يقابلها (واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم) الآيات وقوله (وجوه يومئذ ناضرة) يقابلها (وجوه يومئذ باسرة) وقوله (يوم

تبيض

تبيض وجوه) يقابله (وتسود وجوه) و قوله (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) الآيات يقابله (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) وقوله (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) يقابله (وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة) واذا تتبعت القرآن وجدته كله فى هذا النوع على هذا الحد وهذا كله من اجل الرقيبتين الالهية فى قوله (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء) وقوله (فالهمها فجورها وتقواها) وقولـه فى المعطى المصدق (سنيسره لليسرى) ويقابله فى البخيل المكذب قوله (سنيسره للعسرى) فاعلم، وهكذا ايضـا آيات الجلال والجمال فى كتاب الله وانا احب ان اذكر من آياتهما قليلا واتكلم عليها من طريق الاشارات بما تدركه الافهام المتفرغة لطلب هذه المعانى المقدسة عن الكدورات البشرية والشهوات الحيوانية والله يؤيد بالعصمة والاصابة فى القول والعمل آمين بعزته وأجعلها اشارات بدلا من قولنا فصل اوباب وأبتدى بآية الجلال ثم اردفها بآية جمالها ثم أنتقل الى آية جلال اخرى على هذا الحد إن شاء الله وقد يكون للآية وجهين (١)، وجه فى الجلال ووجه فى الجمال فاسوقها بعينها فى الجلال والجمال لكونهـا تتضمن التقابل ان شاء الله تعالى .

اشارات الجلال. قال الله تعالى (ليس كمثله شيء) وهذه آية تقابلها فيها وتقابلها ايضا تمامها وهو قوله (وهو السميع البصير) ويقابلها من الاحاديث قوله عليه السلام « ان الله خلق آدم على صورته » فاعلم يامن غرق فى بحر المشاهدة ان المثلية فى الجلال معقولة كما ان المثلية فى الجمال لغوية فنفى بهذه الآية المماثلة التى فى الاشتراك فى صفات النفس وهنا بحور عظام منها ان المماثلة بين الشيئين لا يقضى (١) بالكمال فيهما والفضائل وغير ذلك فان تماثلا من طريق صفات النفس فقد تماثلا اوتناقضا من طريق صفات المعانى كرجلين قد اشتركا فى صفـات النفس الواحد منهما عاجز قاصر جاهل ابكم اعمى اصم والآخر عالم قادر مريد متكلم بصير سميع وقد جمعهما حد واحد وهو انهما حيوان ناطق ما ثت مثلا فاذا

---

(١) كذا

كان ذلك فهى إشارة فافهم كما يقع الاشتراك والتماثل فى صفات المعانى ولا يقع الاشتراك بالمثلية وان كانت حقيقة الشيء من صفات نفسه فتعدد ويشتركه(١) شيء آخر فى بعضها فليس ذلك الشيء بمثل لذلك الشيء الآخر من جميع الوجوه كالحيوان الذى يطلق على الانسان وعلى البهيمة فليس الانسان بمثل للفرس لان من شرط المثلية الاشتراك فى جميع الصفات النفسية ولا يكون ذلك الا فى اشخاص النوع الواحد .

وهذه المثلية تسمى عقلية فلتكن هذه المماثلة الكاملية الكلية والمماثلة الجزئية هوان يقع الاشتراك فى بعض صفات النفس وهو مثل من حيث ذلك ثم يقع الانفصال وتأبى الحقائق ان تقبل المماثلة فى صفة المعانى فانها ليست بحقيقة لذات الموصوفة بها فهى كالاعراض وان كانت لازمة اويستحيل عدمها لان المماثل هناك انما هوبين المعنيين لا بين الشيئين اللذين قام بهما هذان المعنيان المتماثلان كالعالمين فوقع التماثل بين العالمين عقلا وحقيقة فان تماثل العالمان فمن غير هذا الوجه وتشخصت المعانى بتشخص من قامت بهم فتشخصها بحكم التبعية كتحيز العرض بالتبعية فى تحيز محله لانه بحيث محله لان العرض يتحيز فهذه اشارة الى ان البارى ليس بيننا وبينه اشتراك فى صفات النفس بوجه كلى ولا جزئى فلهذا انتفت المثلية من جهة الحقائق بيننا وبينه ولا يغرنك ان وصفك بما وصف نفسه من كونه عالما ومريدا وغير ذلك وكذلك البهيمة سميعة وبصيرة ومريدة فافهم ذلك .

الجمال . الآية بعينها قوله تعالى (ليس كمثله شيء) مثلية لغوية كقولهم زيد مثل الاسد والكاف هنا بمعنى الصفة فيقول ليس مثل مثله شيء فنزل الحق فى مقام البسط بصفة الجمال لقلوب العارفين به ونفى فى هذه الآية ان يشبههم شيء من جميع مخلوقاته كما نفى فيها من كونها جلالا ان تشبهه فنبه بهذه الآية على شرف الانسان على جميع المبدعات والمخلوقات لحقيقته لا اين واثبت له صفات التمام والكمال فجعله فياضا وملكه مقاليد الاسماء وبهذه المثلية اللغوية صحت له

(١) كذا والظاهر « ويشركه »

الخلافة وتعمرت به الدار ان وبها سخر الارواح وبها قال تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا) فهذه الآية تدل على مباسطة الهية اذا تجلت الى قلب المحقق يكون حاله فى ذلك الوقت المعانى التى تقدم فى جلالها كما انه اذا تجلى الى قلب المحقق جلال هذه الآية يكون حاله فى ذلك الوقت معنى جمالها وهكذا فى كل تجلّ كما قررناه بخلالها بفرض المثل ونفى شبهه ومماثله وجمالها بوجد المثل ونفى مماثله فالجلال يثبت تقديس الحق والجمال يثبت رفعة العبد وكما قال فى جلاله (ليس كمثله شىء) فى حقائقه المقابلة للحقائق الالهية ثم ارتفع فى مقابله نزول الحق الى مقام المثلية بالسميع البصير فافهم هذه الاشارة فان بقاء العبد باوصاف نفسه ببقاء الله وان بقاءه باوصاف كماله الثابتة فى الربوبية العارضة فى العبودية بابقاء الله فالمحقق ببقاء الله مشغوف لانه فى مشاهدة لاتنقطع فانه مع التقابل وغير المحقق بابقاء الله مشغوف لانه محجوب بالتاله فهو مع الله من طريق الفعل فى الكون على التماثل وهو الحال يقول اهل الجنة فى الجنة للشىء يريدونه كن فيكون فيرى المحقق تكوين ذلك الشىء عن معنى قوله لاعن قوله ويرى غير المحقق ذلك التكوين عن القول لوقوعه عنده وقد اشتركا فى نفى القدرة عنهما فافهم .

اشارات الجلال قال الله تعالى (لا تدركه الابصار) فيها تقابلها وقيل للنبى عليه السلام ارأيت ربك فقال نورانى أراه فلايزال حجاب العزة منسدلا لايرفع ابدا جل ان تحكم عليه الابصار هكذا عند مشاهدتها اياه لانها فى مقام الحيرة والعجز فرؤيتها لارؤيتها كما قال الصديق العجز عن درك الادراك ادراك .

اشارة، لا تدرك الابصار الهواء لكونها سابحة فيه فمن كان فى قبضه شىء فانه لايدرك ذلك الشىء. اشارة، يريد البصر أن يدرك لون الماء والشفافة الغالية فى الصفاء فلايدركها لانه لو ادركها لقيدها وذلك لانها اشبهته فى الصفاء والادراك لايدرك نفسه لانه فى نفسه ويدركها فهو البصر المبصر .

اشارة . اذا نظر البصر الى الشيء الصقيل فيرى فيه الصورة فادراكه للصورة للجسم الصقيل لانه اوجهد ان يدرك ما يقابل الصورة التى فى الصقيل من الصقيل لم يقدر والصقيل(١)لا يتقيد فاذا سئل مارأى فلا يقدر أن يقول رأيت الصقيل لانه لا يتقيد له ولا يحكم عليه بشيء وان قال ذلك فهو جاهل لامعرفة له بما شاهده ولكن يقول رأيت فيخبر عن الصورة اوالصور التى رآها وهو الصدق فقد عرت هذه الاشياء عن ادراك البصر مع كونها مخلوقة فانهم ولكنه ادرك هذه الاشياء بغير تقييد وقبول هذه الاشياء الى الصور ذاتى لاينفك عن الصورة البتة عند رؤية الرائى وهى رؤيتك فتحقق ماذكرناه .

واعلم ان الله تعالى ان يحيط به بصرا وعقل ولكن الوهم السخيف يقدره ويحده والخيال الضعيف يمثله ويصوره هذا فى حق بعض العقلاء الذين قد نزهوه عما تخيلوه وتوهموه ثم بعد التنزيه يتسلط عليهم سلطان الوهم والخيال فيحكم عليه بالتقدير وهو قوله (اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) وهو رجوعهم الى ما اعطاهم العقل بالبرهان الصحيح من التنزيه عن ذلك .

الجمال ، واما جمال هذا الجلال فقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فنزل سبحانه فى جماله مباسطة معنا الى ان ندركه بابصارنا وينظر الى هذا قوله عليه السلام « ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب لا تضارون فى رؤيته» وقال تعالى فى حق أصحاب الجحيم (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) والنظر بالى فى كلام العرب لا يكون الا بالبصر وبفى يكون بالعقل وبالفكر وباللام يكون للرحمة وبغير اداة يكون للتقابل والمكافحة والتأخير . والابصار من صفات الوجوه وليس العقل منها فلا بد من رؤيته ، وقوله (لن ترانى) لموسى عليه السلام حكم يرجع الى حال ما علمه من سؤال موسى عليه السلام لايسعنا التكلم فيه وقد احاله على الجبل ودك الجبل وصعق موسى والادراك

---

(١) ر ـ لان الصقيل

لا يصعق، وليس من شرطه بنية مخصوصة ولا البنية من شرطه، وانما من شرطه موجود يقوم به لانه معنى والصعق قائم بالبنية الكثيفة فلما افاق سبح ولا فائدة للتسبيح عند القيام من ذلك الموطن الا لمشاهدة ما ثم اعطته المعرفة التوبة من اشتراط البنية ثم اقربانه اول المؤمنين بما رآه فى تلك الصعقة لأن الايمان لا يتصور الا بالرؤية فى اى عالم كان ولهذا قال النبى عليه السلام لحارثة ما حقيقة ايمانك قال «كأنى أنظر الى عرش ربى بارزا» الحديث فاثبت الرؤية فى عالم ما وبها صححت له حقيقة الايمان واقره النبى صلى الله عليه وسلم فيها بالمعرفة وما عدا هذا فهو الايمان المجازى فلا فائدة للايمان بالغيب الا لحوقه بالمشاهدة ولهذا لا يدخله الريب، فموسى اول من ادرك بالبصر على وجه ماوهذه المرتبة لها حال ومقام فان كان فى المقام فهواول من ادركه وان كان فى الحال فيمكن ان رءاه غيره وتكون الاولية موقوفة على الحال بكمال القصة وهذا يوجد كثيرا فاذا باسطك الحق فى المشاهدة لهذه الآية فتقنع بانه لا يدركه الابصار وان لم تفعل هلكت كما اخبرتك واياك ان تبسط بل تكون الهيبة عليك قائمة فهى حافظتك فاعلم والله المرشد سبحانه .

اشارات الجلال. قال الله تعالى (واحصى كل شيء عددا) اشارة الى الاحاطة الالهية بجميع الاسماء الكائنة الماضية والكائنة فى الحال والكائنة فى المستقبل فهى لا تختص الا بالوجود الكائن والذى كان ويكون فهو تعلق اخص من تعلق قوله احاط بكل شيء علما من الواجبات والجائزات والمستحيلات وان كان بعض العلماء لا يسمى شيئا الا الموجود فلا نبالى فان الله قد احاط بكل شيء علما وقد علم المحال ولو خصص صاحب هذا الاصطلاح العلم المحيط فى هذه الآية بالموجودات فليس له دليل على ذلك الا كونه اصطلح على انه لا يسمى شيئا الا الموجود فالاحاطة هنا على بابها من العموم والاحصاء يقتضى التناهى فى الشيء الذى احصى والاحاطة انما هو عبارة عن تعلق العلم بالمعلومات الغير المتناهية هنا وقد يكون الاحصاء ههنا على العموم بمعنى الاحاطة

ولكن كما قلنا فى الكائنات المستقبلة وهى لاتتناهى فان مقدورات الله لاتتناهى ومعلوماته كذلك اكثر من مقدوراته وغير ذلك والاحصاء بالعدد لايتعلق به لانه لا يجوز عليه فيحصى نفسه والمحال لا يوصف بالعدد فيتعلق به الاحصاء ولكن يحيط به العلم اى معنى لعلمه من جميع الوجوه فاذا كان الحق قد احصى كل شيء عددا فانت من الاشياء المعدودة نحفظه ورقبته عليك فاذا شاهدته الاسرار من هذه الآية تاهت فى جلال الحق وحارت فى انفاسها ولحظاتها ولمحاتها ونفحاتها وخطراتها وكل ما يكون فيها ومنها فاذا تحققت بهذه المشاهدة بسطها الحق بالآية التى اذكرها بعد هذا فى جمال هذا الجلال فعند ما تريد الانس بذلك يتجلى لها فى هذا الجلال فى تلك الآية فيحيره ويتلفه فافهم

الجمال. قال الله تعالى (وارسلناه الى مائة الف اويزيدون) بخاء باوالتى للشك وهذا محال على الله تعالى فلما نزل الحق فى جماله فى هذه الآية مباسطة معنا والشك منوط بها (١) فقام للعبدضرب من المناسبة فان كان العبد جاهلا حمل ربه على نفسه ووصفه بالشك فضل وان كان محققا هرب الى قوله تعالى (واحصى كل شيء عددا) فوقف على سر ذلك وألحق الشك بالرؤية البشرية المعتادة على الخطاب المتعارف بين العرب بالكثرة فيعود الشك على المخلوق وان اراد احصاء العدد واراد أن ينزه نفسه من غير الوجه الذى نزه بارئه فليأخذها على ارادة الكثرة لاعن العدد وان كانت لاتخلو عن عدد محقق ولكن لم يرد القائل هنا الاعلام بتعيين العدد وانما تعلقت الارادة بالاعلام بالكثرة فهذه الصيغة اذا كانت المتعارفة بين المرسولين(٢) اليهم لايريدون بها الوتوف على عدد محقق فاذا شاهد العبد ارادة الكثرة هنا انكشف له احصاء ما علمه من وقت وجوده الى وقته وما يكون الى ما يتناهى ولكن بحقيقة يخالفنا فيها بعض العلماء من المتكلمين وذلك ان يكون العلم يتعلق بمعلومين فصاعدا وهذا محال عند بعضهم ومن جوز ذلك كالامام ابى عمر والسلالمى رضى الله عنه فانه لا يخالفنا فى هذه المسئلة .

---

(١) على هامش الاصل ن ـبنا (٢) كذا .

واما قول الاسفرائنى ابى إسحاق ان القلب لا يحمل فى الزمان الا علم واحد(١) فقد يمكن ان يشير الى ماذهبنا اليه وكذلك فى حده العلم بما يتصور منه احكام الفعل واتقانه ففيه ايضا تلويح الى هذا ونحن انما نتكلم مع ارباب الحقائق والاسرار من اهل الله تعالى وانما اطلب التعلق ببعض اقوال علماء الرسوم تأنيسا للقلوب الشاردة عن هذه الطريقة من جهة هذه الحقائق فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

اشارات الجلال . قال الله تعالى (والهكم اله واحد) تقابلها فيها ايضا هو خطاب ينسحب على كل مألوه متعبد .

اشارة. وذلك ان سر الالوهية لولا ما وجدها كل عابد فى معبوده اى عند عبادته لمعبوده ماعبده وهكذا لومكنوا من فصل الخطاب لقالوا وانما ضل المضل لنسبة الالوهية لمن ليس باله وهو انما عبد من ذلك المعبود سر الالوهية التى هى لله تعالى لما انسحب اثرها على ذلك المعبود ربنا تبارك وتعالى فهذاروح قوله (والهكم اله واحدلااله الاهو) فاثبت عين ما نفى فى حكم الحقيقة وانما اخذوا هؤلاء بالنسبة التى اضافوها لما نحتوه وسموه ونصبوه ورفعوا اليه حوائجهم فافهم ذلك فانه سر عجيب .

اشارة. نفى الشريك الذى لا وجود له فما نفى شيئا فان الشريك موضوع غير موجود والموضوعات اضافات والاضافات لا حقيقة لها فاذا نفى الشرك اثبات الوحدانية واثبات الوحدانية امر يرجع الى الوجود ونفى الشرك امر يرجع الى العدم فافهم .

اشارة. تجلى الوحدانية وهو الاستواء الالهى على العرش الانسانى وهو بخلاف الاستواء الرحمانى فان الاستواء الالهى فى نقطة الدائرة وهو قوله تعالى« ما وسعنى ارضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن» والاستواء الرحمانى محيط للدائرة وهو قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فالعرش فى الاستواء الرحمانى بمنزلة الحق فى الاستواء الانسانى والقلب فى الاستواء

---

(١) كذا

الالهى بمنزلة الحق فى الاستواء الرحمانى فاذا تجلت الوحدانية لم يعاين المشاهد سوى نفسه سواء كان فى مقام وحدانيته او فى غيرها فان كان فى مقام وحدانيته فهو بمنزلة ضرب الواحد فى الواحد فلا يخرج لك الا الواحد فى الاعداد على المثال والتقريب هكذا اضرب افى ا يخرج لك ١ فاذا كان غير وحدانية فهو بمنزلة من يضرب واحدا فى اثنين فانه لا يخرج له الا اثنان وكذلك فى جميع الاعداد بالغا مابلغ مثال ذلك ان تضرب ١ فى ١٥ الخارج ١٥ او تضرب واحدا فى ١٠٠ الخارج لك ماضربت فيه الواحد وهو ١٠٠ فاعلم ذلك .

الجمال . واما جمال هذا الجلال فقوله تعالى (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ماتدعوا فله الاسماء الحسنى) نزل الحق فى جماله مباسطة معنا برحمانيته وبهذا الاسم استوى على العرش وهى المعرفة العامة واليها ينتهى العارفون وفيها ينبسط المحققون ويقبضهم جلالها وهو قوله (والهكم اله واحد) ولما كان الله جامعا لكل شيء وكان الرحمن جامعا لحقائق العالم وما يكون فيه ولهذا قيل رحمن الدنيا والآخرة لهذا قيل لهم (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) فان دعاءهم انما هو تعلقهم به لما نعهم على قدر معارفهم وهى عند اسمه الرحمن وهذا الاسم الرحمن يتضمن جميع الاسماء الحسنى الا الله فان له الاسماء الحسنى والرحمن وما يتضمنه الاسم الله واذا ناديت الله فانما تنادى منه الرحمن خاصة وتنادى من الرحمن الاسم الذى تطلبه الحقيقة الداعية الى الدعاء فيقول الغريق يا غياث والجائع يا رزاق والمذنب يا غفار يا غفور وكذلك فى جميع الاسماء فافهم ما اشرنا به اليك فانه باب عظيم نافع .

اشارات الجلال . قال الله تعالى (لا يسئل عما يفعل) وهذه الآية متعلقة بالقهر والجبروت واثبات الملك فاذا ثبتت هذه الاوصاف فى قلب العبد استحال عليه طلب العلة وكل مايكون فيه اعتراض .

اشارة

اشارة . من علم ما فى نفسه فانه لا يسأل نفسه الا بتقدير سائل لا يعلم يقيمه فيوقع السؤال منه فاذا كان هذا فلايسأل عما يفعل فانه ليس الا الله وصفاته وافعاله ويجاب هذا المعنى فى هذه الآية قوله وهم يسألون فان الحقيقة واحدة فانه السائل عن فعله بهم وماظهر عنهم فلا يجيبون الابفعله فيهم فافهم فانى اريد الايجاز لاهل الاشارات .

الجمال . جمال هذه الآية قوله تعالى (لم كتبت علينا القتال) نزل فى جماله مباسطة فنطقنا بالسؤال جمال هذه الآية ادلالنا بمغيبنا عن معرفة الجلال فى ذلك الوقت فينبغى للعبد ان يحضر عند هذا السؤال مع قوله لايسأل عما يفعل . اشارة هذه البنية بعد بنائها انما يعسر على من يتكلف ويتعنى فى اقامتها ومن لا كلفة عليه فى ذلك بل الخلق وعدمه فى حقه سواء فلا يقال فيه اذا فعل هذا انه ليس بحكيم .

اشارة . من ان الحكمة وضع الاشياء فى مواضعها ومنها رد الصور على ما يقتضيه الموطن الذى تكون فيه وليس موطن الآخرة كوطن الدنيا فلا ينبغى ان تكون نشأة الدنيا نشأة الآخرة بل كما قال عليه السلام من الصفاء والرقة والحسن والاعتدال فى اهل النعيم ونقيضه فى اهل الجحيم فان الدنيا كدرة متغيرة فنشأتها مريضة سقيمة مظلمة ولا بد من النقلة فلابد من تغير النشأة ولما تحققوا هذا قالوا فى آخر الآية (لولا اخرتنا الى اجل قريب) فانه لابد من تغير النشأة .

اشارة . (لم كتبت علينا القتال) طلب المعرفة بالله من طريق الفكر ورد الشبه المظلمة وطلب المشاهدة بالمجاهدة والمكابدة وهذا كله من بسط الحق لهم فحكم عليهم بالادلال فاساؤا الادب بخلاف المحققين .

اشارات الجلال . قال الله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به) دائرة لا اله الا الله تعم كل موحد ولا يخلد فى النار ولا يظهر سلطانها الا فيمن ليس له خير غيرها ولا يشفع فى اصحابها الا ارحم الراحمين خاصة وماسوى الله فان شفاعته انما تكون فيمن عنده مثقال ذرة من خير من غير التوحيد وغرضنا ان نفرد كتابا ان شاء الله فى لا اله الا الله واهلها خاصة فجلال لا اله الا الله

صعب فانه يقتضى ان لا يكون فى البشر اعتماد على غير هذا المعنى وهذا صعب فبسطهم هذا الجلال الاعظم فى سريان سر الالوهية بالفعل العام فى الموجودات المعبودات من الادانى الى الاعالى فاذا وقفوا على هذا السريان سر الالوهيه بالفعل انبسطوا فى الاسباب وعرفوا منه ماخلقوا له وما خلق لهم فافهم هذا .

الجمال . (ان الله يغفر الذنوب جميعا) والشرك من الذنوب وهو لايغفر نزل الحق فى جماله مباسطة لنا فأشهدنا سريان الالوهية فى المعبودات فانبسطوا فى الشرك فقبضهم جلال قوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به) لما ستروه فى نفوسهم فاظهروا نقيض ما هم عليه ستر الله ما كان منهم من المخالفة عليهم جزاء لسترهم اياه فى قلوبهم وقسمهم فى ذلك الستر على قسمين فقسم سترهم عن غيرهم وقسم سترهم عن نفوسهم كما سترهم عن عين الآلام ان تراهم اذا دخلوا النار بان يميتهم فيها اماتة فذلك الذى ستروه فى قلوبهم من توحيده هو الذى ستر القلب الذى هو محل الآلام ان تراه عين الآلام وهذه اشارة بديعة يبسط القلوب جمالها ويورث الادلال حنانها ولطفها.

اشارة . لمالم يستروه لم يسترهم فى موطن من المواطن فافضحهم على رؤس الاشهاد .

اشارة الله هنا معناه الغفار وانما جاء بالاسم الجامع لكونه قال فى الآية جميعا والغفار ليس له مقام الجمع فقال الله .

اشارات الجلال . قال الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) المعرفة تتعلق بامرين من كل معروف الامر الواحد الحق والآخر الحقيقة فالحق من مدارك العقول من جهة الدليل والحقيقة من مدارك الكشف والمشاهدة وليس ثم مدرك ثالث البتة فلهذا قال حارثة انا مؤمن حقا فاتى بالمدرك الاول فكان عنده مؤيدا بالمدرك الثانى ولكن سكت فقال له النبى عليه السلام فما حقيقة ايمانك يرى ان كان عنده المدرك الثانى فاجابه بالاستشراف والاطلاع والكشف فقال له النبى عليه السلام عرفت فالزم فلا تصح المعرفة للشىء على الكمال الا بهاتين الحقيقتين الحق والحقيقة فاذا اخبر الله تعالى بانا عاجزون

عن ادراك حق قدره فكيف لنا بحقيقة قدره وليس القدر ههنا الا المعرفة بما يقتضيه مقام الالوهية من التعظيم ونحن قد عجزنا عنه فاحرى ان نعجز عن معرفة ذاته جلت وتعالت علوا كبيرا فلما عاين المحققون هذا الاجلال وقطعوا انهم لا يقدرون قدره مع ما تقرر عندهم من التعظيم وقدر ما هم بالتقصير فعرفوا انه ليس فى وسع المحدثات ان تقدر قدر القديم لان ذلك موقوف على ضرب من المناسبة الحقيقية ولا مناسبة فى مفاوز الحيرة لهذا الجلال .

الجمال . جمال هذا الجلال قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فأنست نفوس المحققين وتحققوا انه ما احالهم الا على ما هم متمكنين من تحصيله بتوفيقه فلما تحققوا ببسط هذا المقام قبضهم جلال (وما قدروا الله حق قدره) .

اشارة . اذا اردت ان تعرف حد المعرفة التى طلب منك فى هذه الآية فانظر الى ما خلقه من اجلك واجعلك سلطانا عليه وانظر ما تجد فى نفسك ان تطلب من ذلك المخلوق من اجلك ان يعرفك ذلك بعينه طلب الحق منك ان تعرفه به من غير زيادة ولا نقصان وانك لا تطيق ذلك لعدم توفيقك ومما اوحى الله تعالى به فى توراته يا ابن آدم خلقت الاشياء من اجلك وخلقتك من اجلى فلا تهتك ما خلقت من اجلى فيما خلقت من اجلك .

اشارة . اذا اعتاص عليك من خلق من اجلك فلا تذمه فان الذم منك انما يطلب الفاعل لذلك الامر الذى لم ترضه وما ثم الا الله وليس باهل للذم فقد شهدت على نفسك بالجهل وسوء الادب ومن هذه المباسطة تفرع ولهذا استعمل الهيبة مناعند الجمال فان لم يكن عندنا فى وقت هذه المباسطة وماقدروا الله بجلالها والا هلكنا .

تنبيه . اذا اعتاص عليك ماخلق من اجلك فانظر ما طلبت منه وارجع الى نفسك وانظر ما يناسب ذلك الطلب منك مما يطلبك به ربك فانه تجده قدطلب ذلك واعتصت وابيت فاعتاص عليك ذلك الامر المناسب فان الله تعالى اذا

او ترى نفسك طلبا ما ممن خلق من اجلك سواء كان مثلك او لم يكن فان الله تعالى قد طلب ذلك منك وانت لم تشعر فان كنت اطعته فى ذلك فان ذلك يطيعك وان كانت الاخرى فذلك كذلك واعلم ان الله خلق هذا النوع الانسانى من اجل الانسان قال الله تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ـ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) فافهم هذه الاشارة ترشد ان شاء الله تعالى .

اشارات الجلال. قال الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) ما من آية فى كتاب الله تعالى ولا كلمة فى الوجود الا ولها ثلاثة اوجه جلال وجمال وكمال فكمالها معرفة ذاتها وعلة وجودها وغاية مقامها وجلالها وجمالها معرفة توجهها على من تتوجه عليه بالهيبة والانس والقبض والبسط والخوف والرجاء لكل صنف شرب معلوم منها وانما عدلنا فى هذا الجزء الى ذكر جلال آية وجمال اخرى ليعرف الطالب المريد صور المناسبة بين المتباينين فليس لكلمة مقام رابع ويظهر سر ذلك فى الالهية فى معرفة الحق نفسه ويديه وقبضته فاعلم ذلك فأفزع المحققون (١) جلال هذا القول اذ احالهم على استطاعتهم فرمى بهم فى بحر البعد وظهر فى عزته فما قدر احد من المكلفين ان يفى باستطاعته فى تقواه فاهلكهم جلال هذا السهل الممتنع فلما اشتد عليهم هذا الجلال حتى كاد ان يهلكهم بسطهم الحق وآنسهم فاشهدهم (اتقوا الله حق تقاته).

الجمال. قال الله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) فنزل اليهم فى جماله مباسطة حين امرهم بالوفاء بالحق فانسوا واطمأنوا فخافوا على انفسهم من غوائل البسط فاستعملوا نفوسهم واسرارهم فى (اتقوا الله ما استطعتم) فحفظت عليهم هذه الآية ادب الحضرة اشارة اتقوا الله بالله وهو قوله عليه السلام واعوذ بك منك قال الله تعالى (ذق انك انت العزيز الكريم) وقال (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) اشارة اتقوا الله من كونه ساخطا بالله من كونه راضيا .

اشارة جامعية كونية. اتقوا الله المعاقب بالله المعافى فمن عرف حقائق

(١) كذا

الاسماء . فقد اعطى مفا تيح العلوم ويكفى هذا القدر فان الغرض من ذكرى تفصيل هذه الآيات تعليم المدخل الى هذا الفن و معرفـة مأخذه فانه مأخذ عزيز والله يعصمنا واياك من الدعوى .

تنبيه . اعلم يا اخى ان القرآن العزيز خاطبنا الحق به على طريقين منه آيات خاطبنا بها يعرفنا فيها باحوال غيرنا وما كان منهم والى اين كان مبدؤنا والى اين كان غايتنا وهو الطريق الواحد و منه آيات خاطبنا بها لنخاطبه بهـا وهى على قسمين خاطبنا بآيات لنخاطبه بها مخاطبة فعلية مثل قوله تعالى (اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ـ واتموا الحج والعمرة لله) وغير ذلك ومخاطبة لفظية مثل قوله (اهدنا الصراط المستقيم) (ربنا آمنا فاغفر لنا) (ربنا لا تؤاخذنـا ان نسينـا او اخطأنا) واشباه ذلك كثير وليس القرآن يحوى على غير هذا وينبغى لك ان تتنبه للتفرقة فى كلام الله تعالى اذا قرأته مثل قوله (واذا لقوا الذين آمنوا) قالوا وقف هنا وبين (قوله آمنا) وقف ثم قل (واذا خلوا الى شيا طينهم قالوا) وقف ثم قل (انا معكم انما نحن مستهزؤن) وقف ثم قل (الله يستهزئ) فانك اذا قرأته على هذا الحد عرفت اسراره وميزت مواقع الخطاب وحكايات الاحوال والاقوال والاعمال وتناسب الاشياء فاعلم ذلك وقد تبين المقصود فلنقبض العنان والله ينفعنا واياكم بالعلم ويجعلنا من اهله والحمدلله رب العالمين ، تم الكتاب .